

الشمس

الجزء الثالث اول مايو (ايار) ١٩١٠ السنة الاولى

نطاق العالم البحري

« السويس وبناما »

هي العقول السامية المدارك تُرينا في عالم الاختراعات ما تزدهي به البلاد ويستفيد منه العباد ، فترقى بالحضارة والهئية الاجتماعية في مراقي التقدم والفلاح وقد تجلت تلك العقول البعيدة المرامي في افرادٍ جاؤوا الوجود في احقاب مختلفة وخصوصا ما اتاهم الله من ثقوب الفهم ومضاء الفكر بالتنقيب عن اسرار الطبيعة واستخدام قواها ، وتوصلوا بثباتهم الى ما عاد على المجتمع الانساني بالخير الجزيل من اعظم ما حققه الانسان في الازمنة الحديثة توسيع نطاق فن البحارة وتمهيد سُبُل التجارة في وجه اربابها . فاقصد الوقت الثمين وقرب الامكنة البعيدة : شاد المرافيء تُرغم انف الماء الثائر ، ورفع المناثر تهدي حائرات المراكب . فكم من برزخ نقضه ، وخليج سدّه ، وغدير ايبسه . ولم يكن ما في ذلك من المصاعب ليثبط منه العزائم . فهذه قناة السويس

تكفل لفرديناند ديه لسيبس ما كفلت اهرام مصر لمن بناها: اسماً ماجداً
وذكراً خالداً. وهذه ترعة بناما التي يتم فتحها في القريب من الزمن
سيكون لها شأن يذكر في تقريب المسافات وتسهيل المواصلات

السويس وبناما بابا اربعة بحور عظام وهما كمنطقة تحديق بالكرة
الارضية . عن طريقها تمر تجارة المعمور واليهما ومنها مصيرها ومنفذها .
وسوف يبقيان الطريق الكبرى اللاحبة بين آسيا واوربا ما دام العالم
السياسي على ما هو وبقيت الارض على شكلها

عرف القراء مجمل ما يتعلق بقناة السويس بعد تمحيص هذه المسألة
في الجمعية العمومية وقيام مصر من شرقها الى غربها ومن جنوبها الى
شمالها للدفاع عن استقلال قناتها ، واننا لذاكرون هنا فقط شيئاً عن
ترعة بناما فنقول :

بناما عبارة عن برزخ يعترض بين الاوقيانوسين الاتلنتيكي
والپاسيفيكي ، واقع بين كوليبيا وكوستاريكا ، جامع بين اميركا الشمالية
واميركا الجنوبية ، وقف عقبة في وجه التجارة ويبلغ عرضه ستة وخمسين
كيلومتراً بين مدينة كولون ومدينة بناما . والاولى في ٢٢ و ٩ عرضاً
و ١٥ و ٨٢ طولاً والثانية في ٥٦ و ٨ عرضاً و ٣٠ و ٧٩ طولاً

وفتح هذا البرزخ - اي فصل العالم الجديد الى شطرين -
مشروعٌ خطيرٌ جليلٌ الفوائد . ولقد عن هذا الفكر لعلماء اعلام وحكام
عظام وخطر لعقول نيرة ومدارك سامية ان يبرزوه الى حيز العمل . فنشرته
الاقلام والاسنة فكبر سامعوه وقالوا : هذا من باب المستحيل . . .

ومنذ القرن السادس عشر دار في خلد احد البحارة نقض هذا البرزخ
فاقترح ذلك على الحكومة الاسبانية . وفي هاتيك المدة ايضاً حدثت الهمة
بالسيد فرندو كورتز فاتح البلاد المكسيكية الى القيام بهذا الامر الخطير .
فألف لجنة من المهندسين وعهد اليهم تخطيط رسم ترعة تجمع بين
الاقويانوسين . وضع الرسوم على صفحات القرطاس ولم يلاق في ذلك
المهد من يقوم بها فيضعها قيد الفعل . فتصرم قرنان كاملان وفتح هذه
الترعة في عالم الرسوم ، حتى اواخر القرن الثامن عشر اذ اوفد الملك كارلس
الثالث لجنة ترود تلك الاماكن وتنظر في الامر ، فتضاربت الاراء وتفرقت
الكلمة ولم ينجم عن ذلك نتيجة تذكر . وبعد سنين قلائل عهد ذلك
المشروع الى مسيو ده همبلدت فلم يصب نجاحاً

وفي السنة الخامسة والعشرين بعد الثمانئة والالف نال البارون تييري
من بوليفار محرر جمهورية كوليبيا امتيازاً يخوّله حفر ترعة پناما ، فعمل ولم
يفلح . ومن مشاهير الرجال الذين بحثوا في هذا المشروع الامبراطور نابليون
الثالث . قيل انه كان يقضي ساعات طويلاً وهو في قلعة هام ، يعمل النظر ،
ويشغل الفكر في التنقيب عن هذه القضية

ومما تقدم يرى القارى ان هذا المشروع قد بدا لعقول كثيرة . على
ان التمويل اصحاب الذهب لم يكونوا يعدّون تحقيقه الا من باب الاوهام
وخطرات البال . ولذلك لم تؤلف قط شركة لهذا الغرض ، ولم تقم عصابة
مالية للاخذ بناصر هؤلاء العلماء وبسط يد المساعدة لهم . وكان الاميركان
انفسهم ، اصحاب الجهد والنشاط ، لا ينظرون الى هذا المسمى الأبعين الهزء

والسخرية ، حتى رأوا النجاح مكالاً اتعاب ذلك الهمام المقدم فآتح قناة السويس ، فمقدوا حينذاك لجنة من حدآق المهندسين لينظروا في الامر ولكنهم فشلوا في مسعاهم ولم يفوزوا بالمرام . وقام ده لسبس بمحاول ان يحقق في بناما ما حققه في السويس ، فارسل العالمين ارمان ركلو ولوسيان ويز سنة ١٨٧٩ ، ففقدوا تلك الخزون والبطاح ووضعوا الرسوم اللازمة ، ونالا الامتياز من جمهورية كولمبيا ، وألف هو الشركة المالية بعد ان قدر المبالغ اللازمة بـ ٦٥٨ مليون فرنك . فتلاعبت الايدي بالمال وكانت هذه الحادثة من اهم المسائل السياسية التي هزت فرنسا في النصف الاخير من القرن الغابر

وجل ما نتج عن كل هذه الابحاث مد خط حديدي بين كولون

وبناما في سنة ١٨٥٥

ومن اكبر الاسباب التي حالت دون فتح ترعة بناما ، ميل الاميركان الى ترعة اخرى مارة ببجيرة نيكاراغوا ونهر سانت جوان ، وذلك لقتل المشروع الفرنسي في مهده ، سيما وقد توهم القوم باديء بدء ان حفر هذه الترعة اقل صعوبة من نقض برزخ بناما . وظل الاميركان على هذا الزعم حتى سنة ١٩٠٣ ، حيث عادوا الى الفكرة الاولى بفضل مساعي العالم فيليب بونوفيليا ومستر مرفس حنآ (Marc Hanna) احد النواب ، فظهر للجميع عدم صلاحية نيكاراغوا لجمع الاوقيانوسين نظراً لقوة النهر وعلو الاراضي عن سطح البحر وكثرة المواد البركانية في تلك النواحي . فوضع الاميركان يدهم على هذا المشروع واخذوا على انفسهم تحقيقه بعد التسوف والتأجيل

وهو ناجزٌ عن قريب فيشطر اميركا الى شطرين . هذا وكلٌ يعرف ان اكثر رواج التجارة بين اسيا مهد التمدن القديم واوروبا مهد التمدن الحديث، ومن هنا تتأتى اهمية الطرق الجامعة بين القارتين

ولبيان اهمية ترعة ينالما لا بد لنا من الفاء نظرة الى الطريق القديمة والمقابلة بينها وبين طريق الهند فتتضح لنا فوائدها التجارية والسياسية معاً لان التجارة اصبحت اليوم محور السياسة واساس المعاهدات والمحالقات . قال احد كبار السياسيين : « لا تحارب الدول ولا تسالم بعضها بعضاً الا في سبيل التجارة ، فالتجارة سلطنة الدنيا . »

١ - الطريق عن البرزخ الافريقي : اقدم طريق من اوربا الى آسيا طريق البرزخ (الافريقي) اعني مصر فالنيل فالبحر الاحمر فالاقويانس الهندي ، وهذا ما رفع شان الاسكندرية ووفر غناها وجعل فيما بعد للبندية ايضاً نصيباً عظيماً من الثروة . ووجد بين اوراق كتبها نابوليون بين سنة ١٧٨٩ و ١٧٩٣ ما يلي تمريره . « ان مركز التجارة وسوق رواجها انما هي الاسكندرية التي شادها الاسكندر على النيل وهكذا عمرت مصر على عهد البطالسة فقامت مدينة برنيقه (Bérénice) على شواطئ البحر الاحمر ، وكانت تجارة بلاد فارس والهند مع ايطاليا واوروبا عن طريق البحر الاحمر فالنيل » بيد ان هذه الطريق كانت من الصعوبة على جانب عظيم ، سيما وانها بحرية وبرية ، فكانت تستغرق وقتاً طويلاً ومصرفاً جزيلاً ، لنقل البضائع من البحر الى البر ومن البر الى البحر

٢ - الطريق عن راس الرجاء الصالح : وفي سنة ١٤٩٨ جاز فسكو

ده غاما راس الرجاء الصالح واختطَّ طريقاً بحرية محضة الى المواني
الاسيوية فتبعته السفن التجارية وهجرت طريق البحر المتوسط فتأخرت
احوال الاسكندرية والبندقية

قال فولتير في معرض كلامه عن الآداب : « ان رحلة فسكو ده غاما
الى مملكة كالكوتا في الهند عن طريق راس الرجاء الصالح قد غيرت
تجارة العالم القديم تغييراً تاماً . وكانت الاسكندرية محور التجارة ورابطة
الامم على عهد البطالسة والرومان والعرب بل كانت البلاد المصرية المستودع
الوحيد بين الاصقاع الاوربية والامصار الاسيوية ومنها كانت البندقية
تستجلب تحاصيل الحبوب لاوروبا فاغتنت وازدهى فيها العمران ولولا
اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح لكانت البندقية الآن من اعظم الدول »

٣ - - الطريق عن ترعة السويس : بيد انه في اواسط القرن التاسع
عشر عادت الطريق الى الهند من حيث كانت ، وذلك بنقض البرزخ
الافريقي وجمع البحر المتوسط والبحر الاحمر . تلك امنية طالما سعى وراءها
الفراعنة والبطالسة و اشار اليها بونا برت فحققها ده لسبس ، واعاد الى مصر
مجدها الغابر و بهاءها السابق اذ عادت كذي قبل الطريق بين اسيا واوروبا
٤ - - الطريق عن البرزخ الاميركي (بناما) : هذا وفي سنة ١٤٩٢

دعت ناهضة النشاط بكرستوف كولب الى السير الى الهند عن طريق
جديدة . وكان قد ظنَّ - ونعم الظن - انه نظراً لكروية الارض لا بدَّ
من ان يصل الى الهند عن طريق ثانية مواجهة للطريق الاولى فبدلاً
من السفر في البحر المتوسط والاقيانوس الهندي حاول ان يسافر في

ما ندعوه اليوم الاوقيانوس الباسيفيكي . ولما بدت له ارض عن بعيد ، ظن
انه وصل الى الهند ، وهكذا اكتشف اميركا . قال احد المؤرخين :
« اميركا جزيرة عظيمة معلقة بالقطب تشطر الاوقيانوس الى شطرين ،
فكان اذن كولب قد اخطأ بظنه ولكن يا حبذا اخطأ وما اعظم ما ناله
بخطأه وقد اكتشف بالوقت نفسه طريقاً جديدة الى اسيا على غير علم
منه وذلك بنقض البرزخ الجامع بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية »
وهذا ما ستره عن قريب فتصل مياه الاتلنطيكي بمياه الباسيفيكي
وتزداد المتاجرة بين اوربا وشعوب الشرق الاقصى
وعليه فان السويس وبناما قد جمعا بين البحار وجعلتا للكرة الارضية
نطاقاً بحرياً يحيط بها . وهل يخفى على احد ما في ذلك من الاهمية والفوائد
الخطيرة ؟ ..

نيوكلنصر الشحان

ولم تنبح الكلاب ،
من ذا الذي في الباب ؟
ان في الباب مليكاً دوّخه الزمان ،
ان في الباب شبحاً محنياً تحت وفاضه متكئاً على هراوته ، يمد يده باكياً ،
ويهيم شاكياً ،
شبح مخيف يرتعد كالمحموم ، لا يعرف أمن البشر هوام مما فوق او تحت
طبقات البشر ،